

الهيئة الشرعية
لجيش المجاهدين

الإلجام

12 / ذو القعدة / 1430 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إلى من كتب إلينا معنونًا لنفسه: الشيخ أحمد صالح الحسن رئيس الهيئة الـــشرعية في الجيش الإسلامي.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

كان المتوقع منَّا أن نكتب بحثًا شرعيًا علميًا صرفًا، جوابًا على رسالتكم؛ لأنَّ الـــرد العلمي هو منهجنا الذي يشهد به كلٌّ أحد في الميدان وحوله، أيًا كان المردود عليه، لكننـــا اليوم نجد الرد العلمي غير مُجدٍ لك أيها المرسِل ولمن يؤيدك! فاخترنا طلب الشهادة إحقاقًـــا للحق من غير نقصان أو زيادة، وعمدنا إلى أسلوب التقرير قطعًا لدابر التغرير، من أجـــل ذا نرجو إلا يُبقي هذا الرد بإذن الله تعالى أيةَ بقية وساوس في نفسك إلا أطارها، فتكون قائدًا في الإياب، ومن ورائك الجموع تؤوب ذاكرةً شاكرة، هاتفة بها ذاكـــرة: (**آيبـــون تـــائبون عابدون لربنا حامدون**)، هذا رجاؤنا بربنا، لا بخط الأقلام، وتزويـــق الكـــلام، وخطـــط الأذهان!

وأيم الله، لو أننا وجدنا البحثَ العلمي الشرعي مُجدٍ معكم لكتبناه؛ لأنه لو كان ينفع معكم ذلك لنفع ما أصدرنا من قبل من بحوث، مثل: "الجواب الكافي لمن نوى الهدنـــة مـــع العدو ظاهرًا أو خافي" و"الحاسم" و"عباد الله تمايزوا" وغيرها، وكلها بحوث علمية مؤصـــلة، ولله الحمد والمنة. وشاهدُ نفع تلك البحوث الفعلي هو انتفاع جموع من أصـــحابكم أنـــتم خاصة، ومن الفصائل المجاهدة الأخرى حيث عادت آيبة نادمـــة، مـــسلِّمة عنـــان الجِمـــال بالأحمال، والأبدان والأرواح، مبايعة على السير إلى كل مصير، مادام الكتاب والسنة يحدوان المسير.

فكفى شهادة على نفعها عودةُ جموع بسببها، ممن كـــان علـــى رأيكـــم في طريـــق المفاوضات والهدنة بعد طول الصحبة معكم، والتلقي عنكم، أما بقاؤكم على ما أنتم عليـــه رغم معرفتكم بتلك البحوث وغيرها، فإنا نسأل الله أن لا يطول إصراركم على هذا.

وسوف نلجأ كذلك إلى أسلوب المواجهة بالمنطق، والمواجهة بالأحـــداث، تـــاركين الأمر بينكم وبين الله سبحانه، والله على كلِّ شيء شهيد.

فلم يعد إشهاد الناس كافٍ في إحقاق الحق، فما زال همُّ البعض ينصبُّ على كسب الجموع، وتثبيت صحبه في حزبه، على أيِّ شيء، وإن كان على الباطل أو بطريق الكذب أو الافتراء أو بأيِّ وسيلة.

لكنَّ إشهاد الله سبحانه كافٍ في حسم الأمور، وإيقاظ ذرة التقوى الأخيرة في النفس في ساعةِ خلوةٍ عن الجموع، واستحضار محاسبة الرب سبحانه، فأيُّ قلب لا يخاف وهو يقرأ قول الله تعـــالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (فصلت)، ويقرأ قوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ (هود)؟!

وسوف نحدد الجواب الحق في **نقاط محددة**؛ لئلا تطيش الأفكار، ولا يلجأ البعض لمبدأ الفرار، فإن فرَّ ولم يقرَّ بالحق ويقرره، فيكفيه علمه بشهادة الله، ويكفيه مطـــاردة الـــضمير، ووزر شهادة الزور، وأنها أمامه حيث لم يؤدها، كما أمر الله ســـبحانه ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ (المجادلة).

التقرير الأول: كم تُطعن الثقة في مقتل والمصداقية في مفصل، حين نكتب بحثًـــا مؤصلاً بالأدلة، محقق الأحاديث، مخرَّج الفروع على الأصول المتفق عليها، منسوبة الأقوال فيه

إلى أصحابها، من مراجعها. فتأتي أنت أيها الكاتب لتنسف هذا المستوى من البحث **بكــلام عام لا يتعرض للجواب على الأدلة**، فتقول مثلاً: **مع أنَّ اصحاب هذه المقالة شرقوا فيهــا وغربوا بما لا طائل تحته، وحمَّلوا مسألة المفاوضات أو الهدنة ما لا تحتمله، وخرجوا عــن موضوع البحث في أغلب مواضعه، وغرروا بذلك من لا يفقه من دين الله شــيئًا؛ بــل وتحدوا بهذه القضية البسيطة(!!!) ليغرروا الجهال بكلامهم، وكأنَّ القضية قــضية تحــد، ولولا المخافة من افتتان الناس، واغترارهم بالكلام السابق، لما تكلمنا فيها**.**انتهى كلامه**.

أيها الكاتب: لِم لم تتعرض لكل الأدلة إلا في موضعين اثنين، معرِضًا عــن حــشود الأدلة الصحيحة التي سقناها؟!

نسألك بالله الذي لا إله إلا هو، وإنه لسؤال عظيم: هل عندك جواب شرعي صحيح مقنع لك قبل غيرك على الأدلة المذكورة في بحثنا "الجواب الكافي"؟ إنه واحد من اثنين: إما أن يكون عندك جواب على أدلة البحث. وعندها نقول لك لِم لم تذكر أجوبتــك؟! وإمــا أن تقول: ليس عندي جواب. وعندها نقول لك: إذن لِم لم تتبع الحق؟

وسوف نذكر لك –أيها الكاتب– الموضعين الذَيْن أجبتَ فيهما:

أما الموضع الأول: فهو نقدك لعنوان البحث، الذي هيأت له تهيئة طويلة؛ لتُظهر علوَّ كعبك في العلم عامة، وفي علم النحو خاصة، ولكن عند كلمة "**خافي**" أظهر اللهُ العلم الخافي! وعندها قال القائل: إذًا يمدُّ أبو حنيفة رجله!

تأمل ما قلتَ جيدًا: (**هلاَّ استفرغ إخواننا شيئًا من طاقاتهم في معرفة الحكم الشرعي الذي أطالوا الكلام فيه من غير علم ولا بصيرة؛ بل بكتابات عند بعض الفصائل يخجــل منها صغار طلبة العلم؛ بل إنَّ اخطاء اللغة تراها في عناوينها، مثل عطف مرفــوع علــى منصوب ".. ظاهراً أو خافي "...**).

بالله عليك أيها الكاتب: من الذي قال لك إنَّ العرب لا تفعل ذلك؟!

من الذي أحق بأن يستفرغ جهده في البحث قبل أن يتكلم؟

لقد ذكرنا في حاشية كتابنا نفسِه، أنَّ هذه **لغة ربيعة**، والآن سوف نبين لــك أيــن ذُكرتْ هذه اللغة، ومن ذكرها من أئمة الميدان، ومن اعتمدها؛ لتعرف قدرك يا رئــيس!!!

الهيئة الشرعية في الجيش الإسلامي، فقد ذُكرت هذه المسألة في كتب النحو المشهورة المتداولة كشروحات الألفية؛ بل إنَّ ابن مالك صاحب الألفية المشهورة اعتمد هذه اللغة في ألفيته، قال رحمه الله في باب العلم:

ووضعوا لبعض الأجناس علمْ   كعلم الأشخاص لفظًا وهو عم

وقد ذكروا في الشروحات أنَّ الأصل علمًا؛ لأنه مفعول به، لكنه سَكَّن على **لغة ربيعة**.

وقال أيضًا في الألفية في باب الاستثناء:

في واحد مما بـــ (إلا) استثني   وليس عن نصب سواه مغني

والأصل مغنيًا، لكنهم ذكروا في الشروحات أنَّ هذه **لغة ربيعة**. وغريب حقًا يارئيس أنك لم تقرأ الألفية.

وإذا لم تكن قد قرأتَ النحو، فلِم العجلة قبل أن تسأل أهل العلم؟! والمسألة مشهور ذكرها جدًا ليس في كتب النحو فحسب، **بل في كتب التفسير والفقه وشروح السنة**، وإليك القليل من المصادر[1] المتداولة المعروفة التي ذَكرتْ هذه المسألة، والتي يعرف كثيرًا منها صغارُ طلبة العلم، يا أيها الرئيس:

١- حاشية الصبان على شرح الأشموني. وقد ذكرها في المواطن الآتية: (٤٥٢/١، ٥٨٩، ٧٨٦، ١٢١٧، ١٤٩٢، ١٨٤٦، ١٨٩٧، ٢٠٣٢، ٢٠٧٥، ٢٢٥٠).

٢- شرح شافية ابن الحاجب. وقد ذكرها في المواطن الآتية: (٥٧٢/٢، ٦٠١، ٦١٦).

٣- شرح الكافية الشافية لابن مالك ١٩٧٩/٤.

٤- حاشية الخضري على ابن عقيل ٤٦٠/١.

٥- دليل السالك شرح ألفية ابن مالك لعبد الله الفوزان ٢٤٢/١.

٦- معجم القواعد العربية لعبد الغني الدقر ٧١٣/١.

---

(1) وقد اعتمدنا في بعض الإحالات على النسخة الألكترونية.

٧- خزانة الأدب ٧/٣٢٩.
٨- البحر المحيط لأبي حيان ٤/٤٤٠.
٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٩/٦٢١.
١٠- عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ٢٢/٨٧.
١١- حاشية السندي على النسائي ٥/١٨٠.
١٢- حاشية ابن عابدين (في الفقه الحنفي) ١/٣٥٥.
١٣- غاية البيان شرح زبد ابن رسلان (في الفقه الشافعي) ١/٤٢.
١٤- حاشية العدوي (في الفقه المالكي) ١/٥٦.
١٥- شرح مختصر خليل للخرشي (في الفقه المالكي) ٣/١٠.
١٦- كشاف القناع (في الفقه الحنبلي) ٦/٢٦٠.

فهل هؤلاء الأئمة: لا علم لهم ولا بصيرة! وكتاباتهم يخجل منها صغار طلبة العلم؟!

فمن أحق بالوصية باستفراغ الجهد في البحث؟

وإذا كنت أنت رئيس الهيئة الشرعية في الجيش الإسلامي، وهذه عجلتك في الجواب العلمي الذي يحتاج إلى نقل، ويعم نشره بكتاب وبمواقعٍ ألكترونية، ويقرؤه كل أحد، فكيف ستكون أجوبتك التي لا تنشر، والتي بينك وبين العوام؟!

وسبحان الله، كم نتعجب لانشغالك بالهوامش عن الأصل، وهروبك منه، طلبًا لمصيدة من القشور، **فإذا بك تصنع من القشور مصيدة لك!!!**

ألا ترى كيف أنك تركت الجواب عن الأدلة الشرعية عن أصل الكتاب وغايته، وهرعت نحو النحو- وأنت جاهل فيه كما هو واضح- محقرًا لنا بأننا أصغر من الصغار، وأقل من المبتدئين كما ذكرت: **(يخجل منها صغار طلبة العلم...)**.

سبحان الله! ذهبت وراء إعراب كلمة خافي- علمًا بأنه صواب كما ذكرنا- ونسيتَ ممارسة التخفي في مفاوضات بعضكم آنذاك؟!

أيها الكاتب: أجبنا مستحضرًا شهادة الله عليك، وأنه على كل شيء شهيد، بالله عليك ألم يكن بعضكم- في ذاك الوقت- "**يتخفى**" بالاتصالات مع الصليبيين، وأنتم تنكرونها؛ خوفًا من إنكارنا، وإنكار غيرنا من الفصائل؟ ألم يكن ذاك هو الحق؟ أجب بالله

عليك صادقًا، أدِّ شهادتك أمام الله تعالى وأمام خلقه، يا من غيَّرت وغررت. فلـــم انتبـــهت للخطأ النحوي- كما تظن- و لم تلتفت إلى الحقيقة العظيمة لمن يتخفَّى باتصالاته!!

أما الموضع الثاني الذي أجبتَ عنه بالأدلة، فهو قولك:

ومن العجب ما جاء في رد بعض الفصائل على المفاوضات، أنها تكون في جهـــاد الطلب لا الدفع!؟... إنَّ القياس يقتضي أنها في الدفع من باب أولى؛ لأنَّ الحاجة أشد، مع أنَّ النصوص وردت في جهاد الدفع، ولم تفرِّق بين الحـــالين، ولم تـــشترط مـــا اشـــترطه المعاندون، بل إنَّ عمل الأمة أجيالاً متتابعة على خلاف دعواهم ينقضها ويبطلها، وراجع الأدلة في الرسالة المذكورة. قال الكمال ابن الهمام في فتح القدير: وإذا رأى الإمـــام أن يصالح أهل الحرب أو فريقًا منهم، وكان ذلك مصلحةً للمسلمين، فلا بأس بـــه؛ لقولـــه تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (ووادع رسول الله صلى الله عليـــه وسلم أهل مكة عام الحديبية على أن يضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين)، ولأنَّ الموادعة جهادٌ معنى إذا كان خيرًا للمسلمين؛ لأنَّ المقصود وهو دفع الشَّر حاصل به، ولا يقتصر الحكم على المدَّة المروية لتعدي المعنى إلى ما زاد عليها، بخلاف ما إذا لم يكن خيرًا؛ لأنـــه ترك الجهاد صورة ومعنًى. ١٢/٤٢٦.

بل أصرح من ذلك كلام النووي في روضة الطالبين وعمدة المفتين، فقد قال: فإن دعت ضرورة إلى بذل مال بأن كانوا يعذبون الأسرى في أيديهم ففديناهم أو أحاطوا بنـــا وخفنا الاصطلام (هو الاستئصال بالقتل وغيره)، فيجوز بذل المال، ودفع أعظم الضررين بأخفهما، وفي وجوب بذل المال عند الضرورة وجهـــان بنـــاء علـــى وجـــوب دفـــع الصائل.انتهى كلامه.

ونقول: بالله عليك، هل تظن بأنَّ خلافنا معكم في جواز ما قاله العلماء ممن نقلـــتَ عنهم؟

فلِم توحي للناس أننا لا نقول بذلك، وأنت تعلم أننا ذكرنا أقوال العلمـــاء هـــذه في كتابنا "الجواب الكافي"؟

لقد حاججت بأقوال لأهل العلم، وهي حجة عليك، فهل تنبهت إلى قـولهم: **(وإذا رأى الإمام أن يصالح...)**. **فهل فيكم** (**إمام المسلمين**) **الذي رأى هذا الأمر؟**

وهل أقمت أمير فصيلك مقام الإمام العام؟

والأهم من ذلك أننا لا نخاف الاصطلام؟

بالله عليكم من أحق بالخوف هم أم نحن، وخصوصًا قبل سنوات، يـوم أن بـدأت الصِّلات؟

ومن الذي يخاف الاصطلام، نحن في بلادنا، أم هم الذين يريدون طريقةً يحفظون بها أرواح جندهم، ويدرؤون انكسار اقتصادهم؟

أم أنَّ الخوف بلغ بالبعض أن يرى الموت يحيط به من كل مكان؟

وغريب حقًا أن تحتج علينا- أيها الكاتب- بصلح الحديبية؟**!**

نسألك بالله الذي لا إله إلا هو: هل الصلح الذي أبرمه بعضكم كصلح الحديبية؟ هل شروط القياس الصحيح قائمة؟ أم ثمة فروقات؟

ناشدناك الله الواحد الأحد: هل قرأت جيدًا الفروقات العشرة التي كتبناها في كتابنا "**الجواب الكافي**" في الفصل الثاني "ما بين مفاوضات الحديبية وبين مفاوضات الصليبية"، فقد قلنا في مقدمة الفروقات: كلما تجدد ما يسمى بالهدنة مع الدولة اليهودية المسخ أو مع الصليبيين، أطلت على السطح أعناق زندقة أو **أعناق جهالة**، تقيس مهادنتهم على التفاوض في صلح الحديبية، ومن ثم تقيس جواز الهدنة هنا على الهدنة هناك...!

وهذه مسألة خطيرة يجب أن تحسم في أول البحث، وإنها لحريَّة بكتاب مستقل يقطع القياس عليها من أساسه، لكننا في هذا المختصر نودُّ أن نبيِّن وجوه الفارق ما بين هدنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع المشركين، وهدنة بعض الفصائل مع الصليبيين؛ لئلا يلتبس الأمر على ضعيف الفهم، أو ضعيف الهمة، قليل الصبر، قصير النظر.

ووالله إننا نُقدِّم بها نصرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والذب عنه أولاً، ونصرة لإخواننا ثانيًا، فأيُّ إساءة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل أن يُظن به ظنًا أنه هادن كما هادنت بعض الفصائل، كما سيتبين لنا ذلك؟ أو أنَّ لمن هادن مع الصليبيين في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة**!**

وفيها نصرة لإخواننا، فهي صيحة الحق، وصريخ النجدة على الأسود، قبل أن تدخل قفص الصياد...!

وبعدها فمن شاء أن يدخل فليدخل، ولكن دون أن ينسبه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! ومن شاء أن يدخل فليدخل لوحده، ولا يدعُ غيره، فيكون وريثًا لقوم أنزل الله أكثر سورة التوبة فيهم، فضحًا لهم، ولعنًا من رب العالمين، وبراءة من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

نعم إنَّ الأمور تتشابه على الناظر لأول وهلة، ولكن من فضل الله أن لا يترك المؤمنين المتبصرين بنور الكتاب والسنة في تشابه، فالدجال أعظم الفتن وأخطرها، لكن لا يكشفه أحد إلا مَن علم الكتاب والسنة، وقارنَ بين ما ورد في السنة وبين ما يرى بعينيه، فيصبح عندها مزيدَ تلبيسه وكيده وآياته التي جاء بها مزيدًا في كشف حقيقته، وزيادة اليقين بأنه الدجال، بينما الآخرون من أهل الأرض يزدادون غيًا على غيهم.

فانظروا أيها الإخوة في الفروقات، ولا تحيدنَّ عن تطبيق حكم الله عز وجل وحكم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، مهما ازدادت الفتن، وضاقت الأرض بما رحبت.انتهى.

وقد ذكرنا الفروقات في الكتاب المذكور، فراجعها غير مأمور (ص ١٥-٢٨).

أعندك جواب على هذه النقاط العشر تدين الله به؟!

يا أيها الكاتب: يا من نقلت نصين للإمامين الكمال ابن الهمام والإمام النووي رحمهما الله تعالى: أستحلفك بالله طالبًا شهادتك مع اليمين، هل أنت مقتنع بأنَّ صورةَ ما قال هذان الإمامان هي صورةُ مفاوضاتكم؟!

بالله عليك: هل ترى ما قلناه نحن يخالف ما قاله هذان الإمامان؟

أرنا وجه الخلاف؟!

يا أيها الكاتب: هذه نقولات المذاهب الأربعة في الفصل الثالث من كتابنا، مفصلة في المسألة تفصيلاً، هل قرأتها؟ حتى لا تنشرَ ما هو مردود عليه في نفس البحث، موهمًا الناس أنه جوابك، وهذا بعض ما جاء في كتابنا، فاقرأه من جديد: **اختلف الفقهاء في مشروعية المهادنة على مال يؤديه المسلمون للكفار، قال ابن المناصف في كتابه النافع "الإنجاد في أبواب الجهاد" ٣٣٢-٣٣٣: في جواز ذلك خلاف، روي عن الاوزاعي أنه قال**: (لا

يصلح ذلك إلا عن ضرورة، وشُغل من المسلمين عن حربهم، من قتال عدوهم، أو فتنـــة شملت المسلمين، فإذا كان ذلك فلا بأس). وروي نحو ذلك عن سعيد بن عبـــد العزيـــز، وقال: فعله معاويةُ أيام صفين، وعبدُ الملك بن مروان؛ لشغله بقتال ابن الزبير.

وقال الشافعي: (لا خير في أن يعطيهم المسلمون شيئًا بحال على أن يكفوا عنـــهم؛ لأنَّ القتل للمسلمين شهادة، والإسلام أعزُّ من أن يُعطى مشرك على أن يكف عنه، قال: إلا أن يُعطوا في تلك الحال شيئًا ليتخلصوا منهم؛ لأنه من معاني الضرورات، يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها، أو يؤسر مسلم، فلا يخلى إلا بفدية فلا بأس؛ لأنَّ رسول الله ﷺ فـــدى رجلين من المسلمين أسرهما العدو برجل من المشركين)[1].

قال ابن المناصف: والأرجح ما ذكره الشافعي، أنَّ ذلك لايجوز لكل عـــذر مـــن مضرة تتقى أو مصلحة ترتجى، فإنَّ في إعطاء المال لأهل الكفر على أن يكفوا صغارًا على أهل الإسلام، وذلك لا يجوز أن يُستجلب بمثله مصلحة أو يستدفع به ما لا يُستأصل من المضرة، فإذا انتهى الأمر إلى خوف الاستئصال والاصطلام بإحاطة العدو وقوته، وتحقـــق العجزُ عن مقاومته، جاز في هذه الحال؛ لأنه أيسر المكروهين، والله أعلم[2].اهـــ.

وليتأمل القارئ أنَّ الشافعي رحمه الله لم يُجز إعطاء الكفـــار مـــالاً مـــا لم يُخـــش الاصطلام، فالأرض من باب أولى كما لا يخفى، وليس في ذلك خلاف بين العلماء، أمـــا المال ففيه خلاف كما سبق.

بالله عليك يا من احتججت بحديث أبي هريرة، هل قرأت شرح الحديث عند العلماء، وهل قرأت شرحه في كتابنا "الجواب الكافي"؟

إنك لو فعلت ذلك لوفرت على نفسك الإسكات قبل إكمال الحديث، والحـــرج أو الاعتذار بعد الحديث.

إنَّ التحليل يعجزنا، لِم يفعل الكاتبُ ذلك؟! لِم ينقل عبارةً منا، وقد رددنا عليها في نفس الكتاب؟

(1) انظر "الأم" ١٩٩/٤.

(2) الجواب الكافي ص ٣٧-٣٨.

أتريد الإخلال؟ أم الاستغفال؟ أم إيهام الناس بشيء في نفسك؟ أم أنـــك تعتقـــد أنَّ قُرَّاءك لن يقرأوا لغيرك، وأنه يكفيك أن تصدهم اليوم، وسوف تبرد المسألة بعـــدها، وتـــأتي الصوارف التي تصرفهم وتنسيهم إلى الغد، وإذا جاء الغد وذكروا فلكل حـــادثٍ حـــديث؟ وهكذا تستمر الحياة، وتبقى الجماعة والحزب، ومن يتساقط اليوم سنعوضه بآخرين جدد!

أيها الكاتب: لعلك تعجلت في قراءة بحثنا، فارجع إليه ثانية، فسوف تجد بأذن الله ما أذهلتك عنه نفسك أو ظروفك المحيطة، فنحن نرجو أن لا يجد طالبُ الحق حاجةً لمزيـــد في موضوعنا على ما كتبنا، اللهم إلا ما يطلبه النهم من زيادات في الحواشي.

ألا ترى بنفسك كيف أنَّ صـــحبكم يتركـــونكم، ســـخطة لمنـــهجكم وفقـــدانًا لمصداقيتكم، وأنَّ ذلك جزاءً وفاقًا لسوء عملكم، فمَنْ أرَدتم جمعهم بغير الحق صَـــرَفهم الله تعالى، وصرف معهم من خاصة أصحابكم بالحق إلى الحق، فاللهم اجعلنا من أهل الحق.

أما عدم تفريقك- أيها الكاتب- بين الهدنة في جهاد الطلب وجهاد الـــدفع، فهـــو منقوض بالأدلة الشرعية المجمع عليها التي تأمر بدفع الصائل.

وواضح وضوحًا لا خفاء فيه أنَّ من يجيز ترك قتال من اغتصب بلاد الإســـلام- بحجة مشروعية المهادنة في جهاد الدفع مع عدم خشية الاصطلام- هو جاهـــل في غايـــة الجهل، وإلا فما معنى النصوص القرآنية والنبوية التي تأمر بالجهاد، وما معـــنى نـــصوص الفقهاء التي تأمر أهل البلد بالدفاع عن بلدهم؛ بل صرحوا كما هو معلوم أنَّ الوجـــوب يتوسع إذا لم يكف أهل البلد أو تقاعسوا حتى يشمل البلاد المجاورة وهكذا إلى أن يشمل بلاد الإسلام كلها؛ لأنَّ أرض الإسلام مسؤولية جميع المسلمين. قال شيخ الإســـلام: وإذا دخل العدو بلادَ الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب؛ إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة[1].

ولا يجوز أن يعبث الجهلةُ -ممن لم يدرسوا المتون المعتمدة- بنصوص العلماء ويحرفوها لتوافق أهواءهم، ومن ذلك ما فعله الكاتب المردود عليه، فقد جاء بنصوص في الهدنة عن علمائنا لم يريدوا بها من اغتصب دار الإسلام وتوغل فيها كما هو حال

---

(1) مجموع الفتاوى ٢٩/١٩٦.

الأمريكان، وإنما غاية مقصودهم من أراد أن يدخل بلاد الإسلام وليس للمسلمين طاقة بردهم فيجوز للإمام أن يهادنهم، أما من دخل دار الإسلام مغتصبًا فليس له إلا السيف، ويقول في ذلك شيخ الإسلام: وقتال الدفع مثل أن يكون العدو كثيرًا لا طاقة للمسلمين به، لكن يخاف إن انصرفوا عن عدوهم عطف العدو على من يخلفون من المسلمين، فهنا قد صرَّح أصحابنا بأنه يجب أن يبذلوا مهجهم ومهج من يخاف عليهم في الدفع حتى يَسلَموا، ونظيرها أن يهجم العدو على بلاد المسلمين وتكون المقاتلة أقلَّ من النصف، فإن انصرفوا استولوا على الحريم، فهذا وأمثاله قتال دفع لا قتال طلب لا يجوز الانصراف فيه بحال[1].

ومما ينبغي ذكره أنَّ أغلب مسائل الجهاد التي ذكرها فقهاؤنا إنما يريدون بها ما يتعلــق بجهاد الطلب وليس جهاد الدفع، ولو أنك استعرضت هذه المسائل في المتــون المعتمـــدة كالهداية للمرغيناني ومختصر خليل والمنهاج للنووي وزاد المستقنع للحجـــاوي، لعلمــت صحة مانقول، لأنَّ أصول هذه الكتب كتبت في وقت الفتوحات وجهاد الطلب ولأنه هو الأصل في الجهاد، وإليك هذه الأمثلة:

قولهم: الجهاد فرض كفاية.

وقولهم: لاجهاد على عبد.

وقولهم: والدين الحال يحرم سفر جهاد وغيره إلا بإذن غريمه.

وقولهم: ويحرم جهاد إلا بإذن أبويه.

وقولهم: ويحرم قتل المرأة.

وقولهم: إن زاد عدد الكفار على مثلينا جاز الانصراف.

فهذه الأمثلة وغيرها الكثير الكثير أراد بها العلماء جهاد الطلب لا جهاد الدفع، وإن لم يصرِّحوا بذلك في نفس الموطن، ولكن يعرف هذا من مجموع نصوصهم.

---

(1) نفسه.

ومما يحسن ذكره أنَّ القرضاوي المعروف بتساهله وشذوذه في كثير من المسائل، فرَّق في مسألتنا بين جهاد الطلب وجهاد الدفع(١).

التقرير الثاني: أيها الكاتب ومن وراءه، رغم كل ما جاء في داخل رسالتكم من طعون في مختلف الجوانب، ومنها في مهمتنا الكبرى، صلب عملنا، وهو الجهاد كقولك: (لقد نسي من يسود الصحف ممن ينتسب إلى الجهاد اليوم)! وأنَّ دأبنا السعي في تخريب الاجتماع، كقولك: (فما أن يجتمع شمل المجاهدين- أو بعضهم- على أمر حق يفرقه أو يسعى في خرابه من كان بالأمس مجتمعًا معهم على مثل هذا الشمل، ولكنه لما خالفهم في أمرٍ صار لسان حاله يقول: **يجب أن أخالفهم في كل أمر** حقًا كان هذا الأمر أو باطلاً)!

ولقد كررت لفظة الانتساب للجهاد مرة أخرى، وصرحت بأنَّ حرصنا على الدماء والأعراض والدين والأرض **دعوى**، فقلت: **(واشتد نكير كثير من الفصائل التي تنتسب للجهاد منهجاً وعملاً.. بدعوى حرصهم على الدين والاعراض والأرض والدماء...).**

ونحن نسألك أيها الكاتب شهادتك التي تقدمها لله تعالى وحده، وهو على كل شيء شهيد: هل أنت تدين الله بهذا الذي خطته يمينك، وجئت تقدمه للناس يقرؤونه؟

أتشهد بالله أنَّ جهادنا مجرد انتساب لا حقيقة له، بحيث ذكرت هذه أكثر من مرة في مقالك القصير هذا؟!

أتشهد بالله أنَّ غيرتنا الإيمانية ومقتضياتها العملية مجرد دعوى حتى تقول: (**بدعوى حرصهم** على الدين والأعراض والأرض والدماء...)؟!

ربما تفرُّ من هذا، فتقول: اللفظ يحتمل. لكن من المقرر في لغة العرب أنَّ سياق الكلام هو الذي يحدد المعنى المراد من كلمة الانتساب والزعم ونحوها، والسياق ظاهر هنا بالتشكيك، وسؤالنا: أما وسعتك لغة العرب الزاخرة حتى لا تجد فيها إلا ما يشكك في صلب عملنا وديننا ومحور حياتنا، مما يتعارف الناس على استخدامه عند التشكيك أو البطلان؟!

(1) يُنظر: فقه الجهاد للقرضاوي ٢/٨٢٠-٨٢١.

ثم ليتك تقوله عنا أو عن أناس محددين، إنما تعممه على كل مخالف، حتى تقول: (واشتد نكير **كثير من الفصائل** التي تنتسب للجهاد منهجًا وعملاً...! بدعوى حرصهم على الدين والأعراض والأرض والدماء واستطالوا في أعراض إخوان لهم في المجلس السياسي...).

ويأبى الله سبحانه إلا أن يُنطقك بشهادة، تنقض كلَّ تشكيك في جهادنا، ويجعل شهادتك عنوان موضوعك، فتعنون الرسالة بقولك: "رسالة إلى الجماعات **المجاهدة** في العراق". وقد يُفهم من العنوان أنها رسالة من الجماعات المهادنة إلى الجماعات المجاهدة، أو من الجماعات المخلطة ما بين الجهاد والهدنة إلى الجماعات المتمحضة المتجردة للجهاد في سبيل الله، فصبغة هذه الجماعات وسَمتها أنها مجاهدة، وكفاها ذلك، وهذه شهادة منك، وإن كنت تكرر- وللأسف- على مسمع الدنيا بأنها: **(تنتسب للجهاد)** و**(وتدعي حماية الدين والعرض)**!

يا كاتب المقال: ليس القصد هو إحراجك فيما كتبت إلا بمقدار ما يكفي لإعادتك إلى الحق أو تعريفك به، على أقل تقدير، فإنَّ الله سبحانه عاب على المنافقين **لمز** المؤمنين المنفقين، فقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ (التوبة).

التقرير الثالث: وجوب إيقاف الانحدار:

لقد تكفل الله بالدفاع عن الجهاد والمجاهدين، وتكفل بالدفاع عن أوليائه، وتكفل بنصرة المجاهدين في سبيله، وتكفل بتوليهم، وتكفل بكفالتهم، وتكفل بتحقيق رجائهم، وتكفل بالقتال معهم، وتكفل بهدايتهم، وعلى كل واحدة من هذه آية؛ بل آيات.

وهذا يعني أنَّ النقد الشخصي بغير حق لهؤلاء المجاهدين مواجهة لله سبحانه وتعالى، وأنه مستدعٍ تحقيق موعود الله تعالى فيمن يواجههم.

وإني أخشى ما أخشاه أن تتبلور فكرتكم هذه حول نفسها أكثر وأكثر بحيث تصبح مع الأيام هي الفكرة المقابلة للجهاد، ثم لا تتحرجون- بعدها- من إظهار الدفاع عنها

والهجوم على الجهاد، وهذا هو المنحدر الذي تنحدرون إليه بكل وضوح، وبشهادة كل منصف في الساحة، وهو ما يؤدي بالمرء إلى أصعب درك، وردِّ كل تبرير يبرره:

﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٤﴾ (التوبة: ٩٤).

أما كونكم لا تدركون ذلك، فهذا ما يظهر شدة التلبيس وغلط التأويل؛ بل الأمر أصبح عندكم إمامة في مضمار التفاوض بصورته المحرمة شرعًا، ودعوة لها كما ذكر ذلك أمين المجلس السياسي في لقائه مع الجزيرة حين قال ما نصه: (مقدم البرنامج: ألم يكن دخولكم في هذا إضعاف لباقي فصائل المقاومة العراقية؟

أمين المجلس: نحن دعونا جميع الفصائل للمشاركة بهذا الأمر **وربما جميع الفصائل** يعني معلنة أنه لا ضير يعني من التفاوض ضمن الشروط، يعني يمكن هذه شروطنا التي ذكرناها **يجمع** عليها جميع فصائل المقاومة في العراق.

مقدم البرنامج: طارق الهاشمي نائب الرئيس العراقي وصف في تصريحات نشرت له في ١٧ أبريل من العام ٢٠٠٧م أنَّ المفاوضات بين الحكومة الأميركية وبين فصائل المقاومة مجرد علاقات عامة لا ترقى إلى مستوى الحديث أنها مفاوضات.

أمين المجلس: يعني ربما يكون ذلك في مراحل سابقة نحن سمعنا تسريبات عن يعني هناك لقاءات طبعًا المجلس لم يقم بمثل هذا الأمر نحن جلسنا معهم جلسة رسمية ممثلون رسميون من المجلس لهم وزنهم من المجلس جلسوا مع ممثلين عن الحكومة الأميركية ووقع بذلك يعني).اهـ.

ونحن ننشدك الله: ألم نجتمع مرارًا وتكرارًا، وفي أيام متوالية، ونحن نقرر مسؤوليكم أمام بعض الأفاضل بشروعكم في المفاوضات والهدنة، وأنتم تنكرون، وبعد الأدلة أقررتم بأنَّ هؤلاء الذين هادنوا رجال فعلوها بأنفسهم ومن غير مشورتكم... فقلنا لكم: إذًا لا بد أن تعلنوا البراءة منهم، فامتنعتم...!

ألم يحدث هذا الذي ذكرنا؟ ألم يتكرر هذا الأمر؟ هل افترينا عليكم شيئًا؟

فإن كانت هذه شهادة حق- وإنها وأيم الله لكذلك- فما بالكم اليوم تدافعون هـذا الدفاع عما كنتم تنكرونه من قبل؟! ما لمنكرِ الأمس أصبح معروفًا اليوم؟! ما كنتم تفرون من نسبته لكم بالأمس أصبحتم له دعاة اليوم؟ ما حاك في صدوركم من قبل، وخشيتم أن يطلع عليه الناس، أصبح اليوم مجانة تجاهرون بها الناس!

و لم يتوقف الانحدار إلى هذا المنحدر؛ بل أصبحتَ تتقرح مـن نـصح الناصـحين، وتعدون نصحهم كَلْمًا يدمي القلب، ويؤذي العرض، فقلتم: (إنَّ مما يقرح القلـب ويدميـه تكالب إخوان الدين علينا قبل أعداء الله، وتنافسهم في أكل لحومنا والاستطالة في أعراضنا قبل أن يصول الكافر علينا).

تكالب الإخوان!

أي تكالب هذا، وما سبب هذا الإنكار؟!

ولِم لا تردون على أدلته وتفندوها بالحق؟

لقد أصبحت تصريحاتكم اليوم دليلاً على ذهاب مصداقيتكم بالأمس!

ولا ندري ما الذي خبأتموه للغد مما لا نعرفه، وربما خبأه مفاوضوكم.

إنَّ هذه القابلية التفاوضية (الهدنة غير المشروعة) لن تنتهي عند حدٍ إلا أن يـشاء الله، ها أنتم تصلون اليوم بعد ذاك الإنكار إلى تشريع هذه المفاوضات بصورتها المحرمـة شـرعًا، واعتبار الدخول فيها **هديًا نبويًا!** وأنتم ما دخلتم إلا اتباعًا للنبي صلى الله عليه وآله وسـلم! رغم علمكم بأنَّ المفاوضات غير مجدية كما قال أمين المجلس: (نحن لا نعـوِّل كـثيرًا علـى التفاوض مع أمريكا فقط لأننا نعتبره هديًا نبويًا!).

التقرير الرابع:

لا تحسبن أيها الكاتب أنَّ ألفاظ التعميم تحميك، أو تستر ما في نفسك، ممـا تخـشى التصريح به، فنحن نعرف أنك تقصدنا تحديدًا... فإياك أن تفرَّ بدعوى أنَّ الكلام عـام، وأنَّ غيرنا من أهل الغلو قد تكلم فيكم... فما بعده من عبارة يظهر المقصود ويحدده، إذ قلـتم: (فما أن يجتمع شمل المجاهدين- أو بعضهم- على أمر حتى يفرقه أو يسعى في خرابه من كان

بالأمس مجتمعًا معهم على مثل هذا الشمل ولكنه لما خالفهم في أمرٍ ما صار لسان حاله يقول: **يجب** أن أخالفهم في كل أمرٍ حقًا كان هذا الأمر أو باطلاً).

ومن الذي خالفكم على هذا الأمر بعد أن كان مجتمعًا معكم سوانا؟!

وهل نحن كذلك؟!

وهل تعدون هذه البحوث العلمية ونشرها تخريبًا؟ أو هل تريدون منا الاجتماع معكم والسعي في جمع الفصائل على الهدنة بترك الجهاد ولو جزئيًا...

التقرير الخامس:

مما يفسر كثيرًا من العبارات المحتملة في هذه الرسالة كلام الأمين العام للمجلس السياسي، في لقائه مع الجزيرة، فلننتظر إلى أين تشير المفاوضات:

(أمين المجلس: نعم إحنا كانت يعني طلباتنا ضمن محاور طبعًا نجمعها في محاور يعني قد يضم المحور طلبات فرعية...مقدم البرنامج: باختصار.

أمين المجلس: المحاور يعني المحور الأول اعتذار رسمي من الحكومة الأميركية من الشعب العراقي ويتضمن تعويض كافة الشعب العراقي بكل أطيافه عما لحق به من ضرر وأذى معنوي أو مادي، الثاني إصلاح النظام السياسي في العراق ابتداء من مفوضية الانتخابات والدستور الذي وضع تحت ظل الاحتلال **وإعادة التوازن إلى مؤسسات الدولة وأجهزتها ودوائرها لأنه يعني هناك عدم إنصاف في هذا التوازن**، إضافة إلى يعني إطلاق جميع الأسرى والمعتقلين من السجون وإعادة المهجرين إلى مناطق سكناهم وحمايتهم وتعويضهم عما لحق بهم من ضرر وبالأخير إعمار العراق الذي دمروه. أحمد منصور: ماذا كان رد الأميركيين؟ أليس هذا سقفًا عاليًا من المطالب يعني الرفض؟

أمين المجلس: نعم نحن نظن أن هذه المطالب التي تحقق طموحات الشعب العراقي وتعيد لهم حقهم.

مقدم البرنامج: ما الذي يجبر الأميركيين على قبول مثل هذه الطلبات وهناك حكومة عراقية تلبي كل شيء؟

أمين المجلس: نعم الذي يجبرهم ضربات المقاومة، نحن نقول هم لم يجلسوا للتفاوض إلا بسبب الضغط العسكري والسياسي الموجود عليهم إضافة هم أعلنوا يريدون انسحابًا يعـني يضمنون فيه شيئا من الحقوق، يعني كانوا يظنون أنَّ الطلبات بسيطة ولكـن ربمـا سـقف الطلبات كما قلت هم لا يستطيعون تحقيقه فتوقف الأمر عند هذا الحد، إحنا من واجبنا سواء حققوا أم لم يحققوا من واجبنا أن نسلك كل السبل الشرعية والصحيحة لاستعادة حقوق أبناء شعبنا سواء بالمقاومة المسلحة سواء بالتفاوض يعني لو استطعنا أن نعيـد حقـوق الـشعب بالتفاوض لفعلنا ولكن هذه للتاريخ حتى يعذرنا أبناء شعبنا بأننا سلكنا كل السبل التي مـن شأنها أن تعيد لهم حقهم.

مقدم البرنامج: قلت إنكم وقعتم بروتوكولاً اعترفت فيه الإدارة الأميركية بالمقاومـة العراقية، ما قيمة هذا الاعتراف في ظل وجود حكومة عراقية يعترف بها العالم أجمع؟

أمين المجلس: يعني قيمة هذا الاعتراف أنَّ أميركا كان تسمينا بالإرهـابيين وتـسمينا بالمتطرفين والخارجين عن القانون.

مقدم البرنامج مقاطعًا: لم تغير هذه المسميات.

أمين المجلس: يعني هذا اعترافها هذا يدل أنَّ تسمياتها هذه خاطئة وأنها مخالفـة لكـل قوانين السماء وأعراف الأرض، إنَّ المقاومة دائمًا هي مشروعة لأن هدفها الدفاع عن وطنها وأهلها وأقوامها.

مقدم البرنامج: هل وصلتم إلى طريق مسدود أم أن الباب لا زال مفتوحا لاستكمال التفاوض؟

أمين المجلس: نحن نقول الباب مفتوح في كل وقت وحين على هذه الـشروط الـتي ذكرناها أما فيما يبدو لنا من ناحيتهم يعني هم **غير جادين** في تحقيق هذا الأمر... فيبقى الأمر أنه نحن نقاومهم مقاومة مسلحة إلى أن يخرج آخر جندي من أرض العراق).اهـ.

لا نريد أن نردَّ على كل المآخذ الشرعية في لقاء أمين المجلس هذا، فهي متخنة بالطوام، ولكن نريدك أيها الكاتب أن تتأمل معنا إلى نتيجة المفاوضات الحقيقية.

لا نريد أن نجدد الجواب ولكننا نقتطع هذه الفقرة من ذاك البحث الذي خرج آنذاك وكأنه يرد عليكم الآن... فسبحان الله كيف يثبت الحق ولا يتزلزل.

ولابد لنا أن نعيد تذكيرك بما مرَّ في نفس الكتاب الذي انتقدتم عنوانه حيث جاء فيه:

وسؤال آخر: هل كلُّ أمنٍ واستقرار مطلوب وغاية، ولو كان استقرار السارق في بيتك، أو كان استقرار العاهر على جسد الشريفة...؟!

ماذا إذا أمن الأمريكان وأمنتم وأمنت بلادكم في ظل حكومة إيران ممثلة بالمالكي أو فلان أو فلان... أهذا أمان تفخرون به، وتسعون إليه، وتفارقون إخوانكم اليوم من أجله، وربما تقاتلونهم في الغد دفاعًا عنه؟

إذًا فلقد أحسن الحزب الإسلامي الذي أنكرتم عليه حين اختصر الطريق من أول مرة ودخل في الحكومة وفاوض العدو، وحاول التوسط بينكم وبينه؛ بل لقد بلغ الذروة الهاشمي التي ربما لن تصلوا إليها حين رفعه العدو ليلتقي بوش في البيت الأبيض، ورغمًا عن المالكي كما يزعمون...!

كيف تصبح القواعد الأمريكية في أمان تام؟ كيف تصبح زيادة عدد السنة في الحكومة العراقية حافزًا لتنازل المجاهدين عن جهاد الأمريكان؟!

أترى هؤلاء المجاهدين قاتلوا الأمريكان من قبل لأجل مقاعد في حكومة أمريكية إيرانية مرتدة، حتى تُسكت جهادهم منحةُ هذه المقاعد؟!

ثم يطمعوننا أكثر فيقولون: نحن لن نطيل في بلادكم ما وفيتم لنا!

بالله عليكم أيها المجاهدون المهادنون: أترى هؤلاء لن يطيلوا في بلادنا بناء على تفاوضنا معهم، وتأمينهم في بلادنا، وتمكينهم من نهب خيراتنا، وتمكينهم من تطبيق مناهجهم علينا وعلى أمتنا، وتمكينهم من حماية اليهود، وتمكينهم من برنا وبحرنا وجونا؟!

أم كان الإلحاح- الأمريكي الداخلي- بسرعة الانسحاب ناتجًا عن الجهاد وعملياته المباركة؟

متى أصبح الانسحاب وعدمه أو تعجليه أو تأجيله عائدًا لهم ولاختيارهم؟!

ألم تسمعوا إلى سفيرهم مع قائدهم كيف برَّرا عند جلسة الكونغرس الأخيرة بقاءهم في العراق بتحسن الوضع الأمني، وهدوء المناطق السنية؟

ثم متى كان المسْلم يصدِّق عدوه المشرك المحارب له، المغتصب لبلـــده، وعرضـــه، المنتهك لحرمة مسجده، ومصحفه...؟! كيف يصدِّق له عهدًا، والقرآن يكذبه، إذ يقـــول الله تعـــــالى: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (التوبة).

ثم افرض أنَّ هؤلاء ــ المفاوضين الأمريكان ــ وفوا حاليًا، أترى الوفاء طبيعة منهم مع المسلمين حتى يفي بها من يأتي بعد هؤلاء حفظًا للعهد الأول؟!

أترى هذا العهد ملزمًا لمن يأتي بعد بوش، وبعد الذي بعده؟!

ماذا تراكم صانعين إذا ما أسلموا العراق إلى إيران مقسمًا؟

وهل هذه العصابة إلا ربيبة إيران؟

أم ترانا إذا لم يلتزموا قمنا ثانية إلى السلاح وجاهدناهم؟!

لكن سنجاهدهم على ماذا هذه المرة؟ إننا سوف نجاهدهم ليوفوا لنا ما عاهـــدونا عليه، فإذا أوفوا رجعنا إلى حمايتهم ثانية وهكذا...؟

ليصبح الفرق بين الجهادين هو أنَّ الله تعالى لن يكون معنا هذه المرة؛ لأننا لم نقاتل لأجله، إنما قاتلنا لدنيا...! لعهود مخالفة لأمره، طالبنا المشركين المغتصبين بها...!

حقاً إنه الشيطان! إنسيًا كان أم جنيًا!

فكم ضحكنا من قصة ذاك الفتى الذي ضحك عليه الشيطان، وها نحن اليوم نرى كيف أصبحنا أو نكاد أن نصبح أضحوكة للشيطان الإنسي!

تلك القصة التي تعلمناها في صبانا حين انطلق ذاك الفتى الغيـــور علـــى عقيـــدة التوحيد إلى شجرة تُعبد من دون الله بفأسه ليقطعها، فاعترض الشيطان طريقه وقال له: لن أدعك تقطعها، فصارعه لكنَّ الموحِّد صرعه، وعاد الموحِّد إلى منزله لأنَّ الليل أظلـــه... ثم عاد لها في الغد، فصارعه الشيطان، فصرعه الموحد، لكنه عاد؛ لأنَّ الليل أظله، وهكذا في المرة الثالثة.... وعندها رأى الشيطان أنَّ القوة لا تنفع مع هذا الموحد الغيور... فجـــاءه بالليل يقول له: لا تقطع الشجرة، وسوف أجعل لك تحت وسادتك كل يوم دينارًا تأخذه وتتصدق به، وتفعل به الخيرات... واستيقظ من منامه مـــستذكرًا حاجياتـــه وحاجيـــات

الفقراء، فوافق على هذا العرض السخي، فأصبح في اليوم الأول، وقد رأى الدينار تحـت وسادته، ففرح به ثم جاء اليوم الثاني فوجد الدينار، فلما أصبح في اليوم الثالـث لم يجـد الدينار!

فخرج غاضبًا عازمًا على قطع الشجرة، فاعترضه الشيطان، قائلاً: ليس لـك إلى الشجرة سبيل... فصارعه فصرعه الشيطان، فقام في المرة الثانية، فصرعه الشيطان أسرع من المرة الأولى، وكان الأمر في الثالثة أسرع... فيأس الشاب، ورأى ضـعفه، وذهـاب قوته!

فسأل الشيطانَ عن سر ضعفه في هذه المرة دون المرة الأولى الـتي صـرع فيهـا الشيطان، فقال له: كان الله معك في المرة الأولى؛ لأنك تقاتل عن عقيدة التوحيد، واليوم تقاتل لأجل الدينار الذي لم أضعه تحت وسادتك...!

وهكذا فكل ما نفاوض من أجل حفظه وحمايته الآن سوف ندفع أضـعافه غـدًا، وندفع عن يدٍ ونحن أذلة صاغرون، راجين منهم قبوله، والفضل لهم إن قبلوه!

فإذا كانت مهادنتنا من أجل أمن الديار من الدمار... فهذا تسليم للـديار لهـم وحمايتها بأيدينا لهم! وهل كانت الضربات الأمريكية بما تكلفهم من تكـاليف باهظـة، وتزلزل حصونهم من داخلها إلا لتحقيق ذلك، ها هي الثمرة جاءتهم اليوم من غير تكاليف تكلفوها، وبرضانا!

وإذا كانت مفاوضاتنا من أجل الأعراض، فإنَّ الأعراض التي انتهكت مـن قبـل كانت تثير الغيرة والنخوة والانتقام؛ لأننا نعدها اغتصابًا، أما بعد نجاح المفاوضات فـإنَّ نهايتها هو خروج كثير من الأعراض بنفسها إلى قارعة الطريق، وذلك من خلال الـسكر الإعلامي، والشاشة السامرية الفضية، وخوار العجل الساحر، والمناهج التعليميـة الـتي سترخي حَبل العِرْض المشدود شيئًا فشيئًا، ثم الحماية القانونية للعرض المكشوف من بقايا الغيرة!

وإذا كانت مفاوضاتنا لأجل مرتبات يعطيها الأمريكان لشرطة هنا وشرطة هنـاك ويعيلوا عوائل هنا وعوائل هناك... فإنَّ ثمن ذلك الأمان لأمريكا، والـذي مـن خلالـه

سينهبون البلد بحراسةٍ من المجاهدين أنفسهم إلى فترة لا يعلم بها إلا الله في مقابـــل ذلـــك الفتات المتساقط من أوعية مزابلهم!

ألا لا ينبغي أن تصبح الحاجيات الفردية هي محددات اســـتراتيجياتنا المـــستقبلية! وتتقاصر أنظارنا عند أقدامنا، وتتهاوى هممنا إلى الأجوفين الفم والفرج!

هل قرأنا كتاب الله جيداً؟ فإني والله لا أجد لهذا الموقف أحسن موقفًا من قول الله:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (التوبة).

لقد تركت أشرف الحرائر مكة، ومعهن ابنة رسول الله ﷺ إلى بلاد الحبشة حفاظًا على الدين، وما تنازلن ولا تنازل رسول الله ﷺ!

ولقد طعنت سمية " أم عمار " بحربة في فرجها ففاضت روحها، وما كان ذاك دافعًا للتنازل ولا ذرة[1].اهـــ.

التقرير السادس: يا أيها الكاتب: لقد أنكرتَ علينا في أول رسالتك إنكارنا عليكم خط الهدنة مع الصليبيين الذي اتخذه كثير منكم، وأنكرتَ علينا عدم البقاء معكم في هذا الخـــط، وأنكرتَ علينا كتابة البحوث الشرعية في هذا المجال، وأسميتها تسويد الصحف.

ونتمنى عليك– أيها الكاتب– كما نتمنى على كل من لا زال يؤيدك، أن يتفكـــر في مصيره قبل دنياه، وكأنَّ الله أتى به وقد سأله عن مجلسه السياسي هذا، وعن طريق التفاوض مع الصليبيين والقعود معهم مهادنة وما يتبع ذلك... أكان يتمنى يـــوم ذاك أنـــه في المجلـــس السياسي لهدنة الصليبيين الغاصبين؟ أكان يتمنى موتة وهو مقتول تسفي عليه الريحُ الترابَ أو مرابط منتظر لم يبدل تبديلاً؟!

(1) الجواب الكافي ص ٤٩ – ٥٣.

أكان يتمنى أموالاً أغدقت عليه من إخوانه في هذا الطريق، فالملبس حسن والهندام تمام، والمركب فاره والدار فسيحة أم كان يتمنى أنه لا مال له يحاسب عليه، وكل ملكه سلاح على عاتقه وشيء يُبَلِّغه المقيل ويمص عند فقده تمرة، ويعصب عند فقدها بطنه.

أيها الكاتب: حين نذكر هذا، فإنما نستحضر حقيقة واقعة يومًا من الأيام، وستكون مادتها وشخوصها نحن وأنت وفلان وفلان، نذْكرها رجاء أن تُفِيق هذه الصورة عبدًا من غفوته، عن طريق تنويع موارد الموعظة، وإيقاف العبد حافيًا عاريًا أمام الحقيقة وهول المصير.

يارئيس الهيئة الشرعية في الجيش الإسلامي: ما نلوكه اليوم مواعظ بالكلام سيأتي جزاؤه لنا أو علينا بالوفاء والتمام، نسأل الله العافية.

فكم من عبد صرفه النظر فيما يقوله الناس عن النجاة بنفسه؟!

وكم من عبد سوَّف وسوَّف، وتمرُّ الأيام ويزداد إيابه صعوبة كما تزداد الباخرة إبحارًا في الظلام حتى غاب عنها نور المدينة، فأصبحت العودة والنجاة مستحيلة؟!

وكم من عبد نفخ فيه العبيد نفخ المديح والإشهار، فصعب عليه أن يترك مَنْ حوله ممن رفعوه أو مدحوه إلى غيرهم من غير شارات.

ولو تفكر العبد لرأى أنَّ خلع هذه الثياب التي عرف بها وعظم بها وارتداء أثواب بلا شارات ولا تعظيم خير له، لكن الهوى في القلب إذا استحكم يصبح نزعه كنزع القلب نفسه... فاللهم إنا نسألك العافية.

يا كاتب المقال ومن وراءه: بإمكانك ومن معك أن تعدَّ الأسطر السالفة مقدمة، لكنها جزء لا يتجزأ من الموضوع، وإنها والله لأعظم ما فيه.

أما الشطر الآخر من التقرير فنود قبل أن تسألنا لم ننكر عليك هذا الإنكار، أن تسأل نفسك ومن شئت مستشهدًا الله على نفسك ونفس صحبك: ما سبب مفارقتنا لكم؟ ما سبب تأليفنا البحوث؟ وهل جاءت مفاجأة؟ بالله عليكم هل اختلفنا قبلها في هذه النقاط مرارًا وفي نقطة الهدنة والصحوات تحديدًا أم لم نختلف؟ وهل دخل بيننا وسطاء أم لم يدخلوا؟ وهل كان الاتفاق على ألا تدخلوا ثم أخلفتم ذلك ودخل كثير منكم، أليس هذا هو ما وقع؟

ثم أيها الكاتب ومن معه: نريد أن نسألك كونك مسؤولاً شرعيًا كما صدَّرت لاسمك باسم الشيخ وختمته بوصف "رئيس الهيئة الشرعية"، بالله عليك: هل لنا مبرراتنا الشرعية أم ليست لنا مبرراتنا الشرعية؟

هل الأدلة التي ذكرناها مقبولة شرعًا أم ليست مقبولة؟

هل رأيت فيها دليلاً شرعيًا غير ثابت، أم رأيت دليلاً ليس له وجه دلالة، وإذا لم يكن في أدلتنا ما ذكرنا فهل يشرع اللحاق بنا أم يشرع الإنكار علينا؟

وعلى فرض أنَّ الأدلة ضعيفة وغير ثابتة، وأنَّ وجه الدلالة منها غير صحيح، وأنَّ قياساتها باطلة، فهل بينتم لنا ذلك برسالة أو كتاب علمي، ينقض الدليل بالدليل، ويقارع الحجة بالحجة؟

أرنا أين هذا البحث الشرعي الذي كتبتموه ؟

ونرجو من الكاتب مراجعة أدلة مشروعية المفارقة من كتابنا "عباد الله تمايزوا" من ص١٢-١٧ فلعل فيها فائدة وذكرى.

يا أيها المسؤول الشرعي في الجيش الإسلامي ومن في طريق الهدنة: إذا كانت قناعاتنا مبنية على هذه الأدلة الشرعية، فهل يعذرنا الله سبحانه، إن تركنا العمل بها، ونحن نعتقد صحتها؟ وهل من النصيحة لإخواننا في الله أن نسكت عن ممارسة إخواننا لضدها.

التقرير السابع:

أيها الكاتب: دقق النظر فيما تقول؛ لترى التلبيس العظيم الذي ابتليتَ به، إنك تقول في رسالتك مستدلاً على مشروعية المفاوضات والهدنة، والإنكار على من أنكرها، بقولك: **(إنَّ تحريم الحلال أعظم إثما من تحليل الحرام، فتحليل الحرام غالباً يكون مواتياً لرغبات النفوس وشهواتها؛ أما تحريم الحلال فيكون عن زيادة تعبد وتدين ويدخل في باب الإحداث في الدين، فالأول سبيل العصاة أهل الشهوات؛ والثاني سبيل المبتدعة أهل الشبهات. "فتحريم ما أحل الله لا ينقص درجة في الإثم عن تحليل ما حرم الله، وكثير من ذوي الغيرة من الناس تجدهم يميلون إلى تحريم ما أحل الله أكثر من تحليل الحرام، بعكس المتهاونين، وكلاهما خطأ، ومع ذلك، فإن تحليل الحرام فيما الأصل فيه الحل أهون من تحريم الحلال؛**

لأن تحليل الحرام إذا لم يتبين تحريمه فهو مبني على الأصل، وهو الحل، ورحمة الله سبحانه سبقت غضبه، فلا يمكن أن نحرم إلا ما تبين تحريمه؛ ولأنه أضيق وأشد، والأصل أن تبقى الأمور على الحل والسعة حتى يتبين التحريم. أما في العبادات فيشدد، لأن الأصل المنع والتحريم حتى يبينه الشرع كما قيل: والأصل في الأشياء حل ... وامنع عبادة إلا بإذن الشارع " (مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين–هامش– ١٠/٧٣٢.اهــ.

أيها الكاتب: أجبنا بما تعتقد وكفانا أنَّ الله مطلع على قلبك ولسانك ووحدتك وجمعتك، والله سميع عليم ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ (المجادلة).

أجبنا عن مبرر تفاوضكم هذا مع الأمريكان؟

فهل الأصل الذي بنيتَ عليه حكمك هو الإباحة؟

هل الأصل في مفاوضات الصليبيين المعتدين المحتلين لبلدنا هو الحل كما ذكرت؟

هل الأصل في التعامل مع من اغتصب شبرًا من أرض الإسلام هو التفاوض معه؟

هل القول بعدم جواز ذلك من الابتداع في الدين؟!

هل القول بعدم جواز المفاوضات في مثل حالتنا يدخل في تحريم الحلال؟!

هل يستدل في هذا الموضع بقواعد التيسير، ويقال: إنَّ الأصل في الأشياء الإباحة، وأنَّ الأمور تبقى على الحل والسعة؟ إذاً فما معنى النصوص التي تأمر بدفع الصائل؟!

أتضيع الحدود الشرعية إلى هذا الحد؟!

ألم تكن صحوات النفاق ثمرة من ثمرات تفاوض بعضكم مع الأمريكان؟

تأمل في قوله تعالى: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (المائدة).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذه الآية: فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط، وجد المشروط بحرف "لو" التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط، فقال: (**وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ**) فدل على أنَّ الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أنَّ من اتخذهم أولياء، ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه [١].

ويقول الشيخ حمد بن عتيق: فأما معاداة الكفار والمشركين فاعلم أنَّ الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك، وأكد إيجابه، وحرَّم موالاتهم وشدد فيها، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد، وتحريم ضده[٢].

وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبايع أصحابه على تحقيق هذا الأصل العظيم، فعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبايع، فقلت: يا رسول الله ابسط يدك أبايعك واشترط عليَّ فأنت أعلم. قال: (أبايعك على أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، **وتفارق المشركين**)[٣].

كيف وقد قال ربنا جل جلاله: ﴿ **لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨** ﴾ (آل عمران: ٢٨).[٤]

ويقول الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠** ﴾ (آل عمران: ١٠٠).

ومما قاله أبو السعود في تفسير هذه الآية: وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير عن طاعاتهم، وإيجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية، فإنه في قوة أن يقال: لا تطيعوا فريقًا[١].

---

(1) كتاب الإيمان ص١٤.

(2) النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك (ضمن مجموعة التوحيد) ص٣٦٣.

(3) أخرجه أحمد ٤/ ٣٦٥ ، والنسائي ٧/ ١٤٨. وصححه الألباني وشعيب.

(4) انظر: الدفاع عن أهل السنة والاتباع لحمد بن عتيق ص ١٢، والدرر السنية ٧/ ٢٠٢.

ويقول عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ (آل عمران).

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب عند هذه الآية: أخبر تعالى أنَّ المؤمنين إن أطاعوا الكفار فلا بد أن يردوهم على أعقابهم عن الإسلام، فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر، وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة، ولم يرخص في موافقتهم وطاعتهم خوفًا منهم، وهذا هو الواقع فإنهم لا يقتنعون ممن وافقهم إلا بشهادة أنهم على حق، وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين[٢].

ويقول ابن كثير عند تفسيره لقوله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ (الممتحنة): ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة، كما نهى عنها في أولها فقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ ﴾ فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء[٣].

ويقول البيضاوي عند تفسيره لقوله سبحانه: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (المائدة: ٥١)، أي من والاهم منكم، فإنه في جملتهم، وهذا للتشديد في وجوب مجانبتهم[٤].

ويقول الشيخ عبدالرحمن السعدي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الممتحنة): وذلك الظلم يكون بحسب التولي، فإن كان توليًا تامًا كان ذلك كفرًا مخرجًا عن دائرة الإسلام، وتحت ذلك من المراتب، ما هو غليظ وما هو دونه.[٥]

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (المائدة: ٥١): إنَّ التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم، والتولي القليل يدعو إلى الكثير، ثم يتدرج شيئًا فشيئًا حتى يكون العبد منهم[١].

---

(1) تفسير أبي السعود ١/ ٥٢٣.

(2) الدلائل في حكم موالاة أهل الشرك ص٣٣.

(3) تفسير القرآن العظيم ٤/٣٥٦.

(4) تفسير البضاوي ١/ ٢٧٩.

(5) تيسير الكريم الرحمن ٧/ ٣٥٧.

ويقول الإمام ابن حزم: من صار مختارًا إلى أرض الحرب مشاقًّا للمسلمين أمرتد هو بذلك أم لا؟ ومن اعتضد بأهل الحرب على أهل الإسلام وإن لم يفارق دار الإسلام أمرتد هو بذلك أم لا؟... فصح بهذا أن من لحق بدار الكفر والحرب مختارًا محاربًا لمن يليه من المسلمين فهو بهذا الفعل مرتد له أحكام المرتد كلها من وجوب القتل عليه متى قدر عليه ومن إباحة ماله وانفساخ نكاحه وغير ذلك، لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبرأ من مسلم.

وأما من فر إلى أرض الحرب لظلم خافه ولم يحارب المسلمين ولا أعانهم عليهم ولم يجد في المسلمين من يجيره، فهذا لا شيء عليه لأنه مضطر مكره، وقد ذكرنا أن الزهري محمد بن مسلم بن شهاب كان عازمًا على أنه إن مات هشام بن عبد الملك لحق بأرض الروم لأن الوليد بن يزيد كان نذر دمه إن قدر عليه وهو كان الوالي بعد هشام، فمن كان هكذا فهو معذور، وكذلك من سكن بأرض الهند والسند والصين والترك والسودان والروم من المسلمين فإن كان لا يقدر على الخروج من هنالك لثقل ظهر أو لقلة مال أو لضعف جسم أو لامتناع طريق فهو معذور، فإن كان هنالك محاربًا للمسلمين معينًا للكفار بخدمة أو كتابة فهو كافر وإن كان إنما يقيم هنالك لدنيا يصيبها، وهو كالذمي لهم وهو قادر على اللحاق بجمهرة المسلمين وأرضهم فما يبعد عن الكفر وما نرى له عذرًا ونسأل الله العافية، وليس كذلك من سكن في طاعة أهل الكفر من الغالية ومن جرى مجراهم لان أرض مصر والقيروان وغيرهما فالإسلام هو الظاهر وولاتهم على كل ذلك لا يجاهرون بالبراءة من الإسلام بل إلى الإسلام ينتمون وإن كانوا في حقيقة أمرهم كفارًا، وأما من سكن في أرض القرامطة مختارًا فكافر بلا شك لأنهم معلنون بالكفر وترك الإسلام ونعوذ بالله من ذلك.

وأما من سكن في بلد تظهر فيه بعض الأهواء المخرجة إلى الكفر فهو ليس بكافر لأن اسم الإسلام هو الظاهر هنالك على كل حال من التوحيد والإقرار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم والبراءة من كل دين غير الإسلام وإقامة الصلاة وصيام رمضان وسائر الشرائع التي هي الإسلام والإيمان والحمد لله رب العالمين، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا برئ من كل مسلم أقام بين أظهر المشركين) يبين ما قلناه وأنه عليه السلام إنما عنى بذلك دار الحرب وإلا فقد استعمل عليه السلام عماله على خيبر وهم كلهم يهود، وإذا كان أهل الذمة

(1) المصدر نفسه ٢/ ٣٠٤.

في مدائنهم لا يمازجهم غيرهم فلا يسمى الساكن فيهم لإمارة عليهم أو لتجارة بينهم كافرًا ولا مسيئًا بل هو مسلم حسن ودارهم دار إسلام لا دار شرك، لأن الدار إنما تنسب للغالب عليها والحاكم فيها والمالك لها، ولو أن كافرًا مجاهرًا[1] غلب على دار من دور الإسلام وأقر المسلمين بها على حالهم إلا أنه هو المالك لها المنفرد بنفسه في ضبطها وهو معلن بدين غير الإسلام لكَفَر بالبقاء معه كل من عاونه وأقام معه وإن ادعى أنه مسلم لما ذكرنا، وأما من حملته الحمية من أهل الثغر من المسلمين فاستعان بالمشركين الحربيين وأطلق أيديهم على قتل من خالفه من المسلمين أو على أخذ أموالهم أو سبيهم فإن كانت يده هي الغالبة وكان الكفار له كأتباع فهو هالك في غاية الفسوق ولا يكون بذلك كافرًا لأنه لم يأت شيئًا أوجب به عليه كفرًا: قرآن أو إجماع، وان كان حكم الكفار جاريًا عليه فهو بذلك كافر على ما ذكرنا، فإن كانا متساويين لا يجري حكم أحدهما على الآخر فما نراه بذلك كافرا والله أعلم[2].انتهى كلامه رحمه الله.

فبالله عليك: ألم توالِ صحواتكم الأمريكان؟

ألم يعن بعضُكم الأمريكان على الدلالة على عورات بعض المجاهدين، وإن كانوا من أهل الغلو، ونحن نرى أنَّ ذلك ردة، وطلبنا من جماعات المجلس السياسي قبل خروجنا منه بمدة قصيرة بيانًا في ذلك، فامتنعتم وامتنع معكم آخرون.

التقرير الثامن والأخير: حقيقة خطيرة ورغم خطورتها إلا أنها في منتهى الخفاء، وخصوصًا على أصحابها، ولربما شاهد الناس أدلتها على أصحابها، بينما أصحابها يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، تلك هي **خداع النفس،** فقد قال الله عن عدم شعور قوم بهذا وهم واقعون في أخطر المخاطر ﴿ **يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ** ٩ ﴾ (البقرة).

أيها الكاتب: لا تستكبر على ذلك، ولا تهوِّل وتقول: انظروا لفلان فقد مثَّلنا بالمنافقين! المؤمن لا يقول ذلك أبدًا: فإنَّ ذِكْر الله جل جلاله عن هؤلاء المنافقين أنهم لا

(1) جاءت في المطبوع (مجاهدًا)، بالدال المهملة، ولا يستقيم الكلام معها.

(2) المحلى المسألة رقم (٢١٩٨).

يشعرون يجعل المؤمن أعظم خوفًا أن يكون قد أصابه شيء من ذلك وهو لا يشعر، كما كان الحسن يقول عن النفاق: والله ما مضى مؤمن ولا بقي إلا وهو يخاف النفاق، وما أمنه إلا منافق [(١)].

إنَّ عدم الشعور بجريان السوء على المرء أمرٌ ثابت بالكتاب والسنة، فَلِمَ تبرئة النفس؟ وإنَّ المسير نحو الهلاك من قِبَلِ البعض وهو لا يدري أمرٌ ثابت كذلك، وإنَّ دعوى الصلاح والإصلاح مع الوقوع في عمق الضلال أمرٌ ثابت كذلك، فكيف يأنف المسلم من محاسبة نفسه، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخاف من الريح أن تكون حاملة عذاب كما ثبت عن عائشة، زوج النبي أنها قالت: ما رأيت رسول الله مستجمعًا ضاحكًا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم. قالت: وكان إذا رأى غيمًا أو ريحًا، عرف ذلك في وجهه. فقالت: يا رسول الله أرى الناس، إذا رأوا الغيم، فرحوا، رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته، عرفت في وجهك الكراهية؟ قالت: فقال: (يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب؟ قد عُذِّب قوم بالريح. وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا)[(٢)].

فيا حسرة على قوم فهموا من الآيات النازلة في حق الكافرين أو اليهود أو النصارى أو المنافقين أنهم غير معنيين بها، فهلكوا من حيث لا يشعرون، وبدى لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، وقد قال حذيفة رضي الله عنه محذرًا من هذا الفهم: (نِعم الإخوة لكم بنو إسرائيـــل، إن كانت لهم كل مرَّة، ولكم كل حُلْوة).[(٣)]

كيف وقد أكد الله سبحانه وتعالى حصول عدم الشعور مع وقوع العظائم ووقوع الهلاك، قال الله تعالى: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (البقرة).

وقال سبحانه: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (البقرة: ١٢)

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٥١/١.
(2) أخرجه البخاري (٤٥٥١)، ومسلم (٨٩٩)، وأحمد ٦٦/٦، وأبو داود (٥٠٩٨).
(3) جامع البيان ١٦١/٦.

وقال سبحانه: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (الأنعام).

وقال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (الأنعام).

أمَّا أخذ الله سبحانه هؤلاء الذين لم يشعروا، فهو كثير في القرآن، كما قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ (الأعراف).

وقال سبحانه: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (النحل).

ومن هنا فإنَّ مزيد الاحتياط، ومزيد الحذر، ومزيد الخوف، ومزيد محاسبة النفس، ومراجعة المنهج والطريق، ومزيد محاسبة الأصحاب بعضهم بعضًا، ومزيد سعة الصدر، ومزيد محبة الناصحين، هو الواجب المتحتم الذي يقتضيه منطق النجاة الصادق، فالناصح في هذه المسألة يساوي المنقذ، ومن ذا الذي يعادي منقذه أو يكره من ينوي إنقاذه؟

أيها الكاتب ومن وراءه: ليست هذه موعظة عابرة تعم كل أحدٍ فحسب إنما هي في رأيي المتواضع تخصك أنت ومن معك أكثر...

فخطر السقوط على الأرض بقدر الارتفاع عنها، فسقوط من يحبو على الأرض لجنبه ليس كسقوط الواقف، وليس سقوط هؤلاء كسقوط الراكب على الراحلة، وسقوط هذا ليس كسقوط من يركب سطح مبنى، وهكذا، وقد بلغتم يومًا من الأيام ما بلغتم، وارتفعتم، وحين عُرفتم شاهدكم الناس من ذاك العلو من ذروة السنام، وها أنتم اليوم تُشهدون الناس على سقوط من ذاك العلو، والناس يشاهدونه، ويتحدثون به في كل مكان، ومن قال لكم غير ذلك خدعكم، وكأنَّ الله تعالى يجعل عقاب من نكل من جنس ذنبه، ولذا لزم كل مجاهد الحذر من الانخداع ما لا يلزم غيره؛ لأنَّ مكانته أعلى، إنها على الذرى...

ولقد حذر الله من هذا الخداع ومخادعة النفس أعظم تحذير، وبيَّن كيف أنَّ مخادعة النفس والعيش على المخادعة والموت عليها أمر ملازم للمنافقين المتخلفين عن الجهاد، والمنافقين المنفقين، والمنافقين المقاتلين على حدٍ سواء، سواءً الأولين منهم والآخرين، فتأمل يا أخي آيات الله، **وتناولها تناول من يريد استكشاف نفسه وإنقاذها**، وكشف خداعها، فتأمل، وتدبر وزد التأمل تأملاً، تأمل كيف واصلوا الخداع تلو الخداع ومُنْية النفس بالخروج للجهاد، لكنهم في الحقيقة لم يخرجوا، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ التوبة.

وتأمل محاولتهم إمساك العصى من وسطها- كما يحسبون- وادخار خديعة ومخرجًا عند الأطراف المتنازعة، قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النساء: ١٤١)، قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ ﴾: يعني المنافقين، أي ينتظرون بكم الدوائر[1].

وقال الفخر الرازي: أي ينتظرون ما يحدث من خير أو شر، ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ ﴾، أي: ظهور على اليهود، قالوا للمؤمنين: ألم نكن معكم، أي فأعطونا قسمًا من الغنيمة، وإن كان للكافرين- يعني اليهود- نصيب، أي ظفر على المسلمين، قالوا: ألم نستحوذ عليكم، يقال: استحوذ على فلان، أي: غلب عليه.

قال: وفي تفسير هذه الآية وجهان:

الأول: أن يكون بمعنى ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم، ثم لم نفعل شيئًا من ذلك، ونمنعكم من المسلمين بأن ثبطناهم عنكم، وخيَّلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم، وتوانينا في مظاهرتهم عليكم، فهاتوا لنا نصيبًا مما أصبتم.

(1) الجامع لأحكام القرآن ٤١٨/٥.

الثاني: أن يكون المعنى أنَّ أولئك الكفار واليهود كانوا قد هموا بالدخول في الإسلام، ثم إنَّ المنافقين حذروهم عن ذلك، وبالغوا في تنفيرهم عنه، وأطمعوهم أنه سيضعف أمر محمد، وسيقوى أمركم، فإذا اتفقت لهم صولة على المسلمين، قال المنافقون: ألسنا غلبناكم على رأيكم في الدخول في الإسلام، ومنعناكم منه، وقلنا لكم بأنه سيضعف أمره، ويقوى أمركم، فلما شاهدتم صدق قولنا فادفعوا إلينا نصيبًا مما وجدتم، **والحاصل أنَّ المنافقين يمنون على الكافرين بأنا نحن الذين أرشدناكم إلى هذه المصالح، فادفعوا إلينا نصيبًا مما وجدتم**(١).

وهذه الصورة تبين حقيقة أنَّ المنافقين لا مبدأ لهم ولا حجة، يميلون مع كل ريح تبعًا لمصالحهم الدنيوية ومآربهم الشخصية، ولذلك فهم يتربصون بالمؤمنين، يلقون المسلمين بوجه، ويلقون الكفار بوجه، ويمسكون العصا من وسطها، ويتلوون كالديدان والثعابين(٢).

وتأمل إنفاقهم إن أنفقوا على المجاهدين أو كفلوا بعضهم أو تولوا بعض العمليات فقد قال سبحانه: ﴿ **وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٩٨** ﴾(التوبة).

قال الأستاذ سيد رحمه الله: ولقد كان بعض هؤلاء المعتذرين المتخلفين المتربصين، قد عرض ماله، وهو يعتذر عن الجهاد، **ذلك ليمسك العصا من الوسط** على طريقة المنافقين في كل زمان ومكان، فرد اللَّه عليهم مناورتهم، وكلَّف رسوله أن يعلن أنَّ إنفاقهم غير مقبـــول عند اللَّه؛ لأنهم إنما ينفقون عن رياء وخوف، لا عن إيمان وثقة، وسواء بذلوه عن رضا منهم بوصفه ذريعة يخدعون بها المسلمين، أو عن كره خوفًا من انكشاف أمرهم، فهو في الحـــالتين مردود، لا ثواب له ولا يحسب لهم عند اللَّه(٣).

وتأمل خداعهم أنفسهم عند حضور الجهاد، وما أكثره، وما أكثر ملاوذاتهم ومداوراتهم ومدخلاتهم... فَلَهُم توصيف عجيب في تأليف الأعذار، منها حفظ الدين، ومنها حفظ الأمة، ومنها حفظ الأرواح، ومنها حفظ الأعراض، ومنها توفير الخسائر، فهي سلسلة

(1) مفاتح الغيب ١١/ ٦٥-٦٦.
(2) الظلال ٧٨١/٢.
(3) الظلال ١٦٦٥/٢.

لا تنتهي إلا بنزع أرواحهم. قال سبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ (التوبة).

تأمل درجة الخداع إلى أين بلغت حتى يحلفوا بالله على صدقهم، لكن ما أن يجدوا المفر حتى يفروا، وربما ساروا مع المجاهدين مراحل وقطعوا أشواطًا، فالمهم أنهم سقطوا سواءً في أول الطريق أو في وسطه أو في آخره... إنه قناع الخداع الذي انكشف، قال سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (التوبة: ٤٢ – ٤٨).

قال سيد رحمه الله: فكثيرون هم أولئك الذين **يتهاوون** في الطريق الصاعد إلى الآفاق الكريمة. كثيرون أولئك الذين **يجهدون لطول الطريق** فيتخلفون عن الركـــب ويميلـــون إلى عرض تافه أو مطلب رخيص. كثيرون تعرفهم البشرية في كل زمان وفي كل مكان، فما هي قلة عارضة، إنما هي النموذج المكرور. وإنهم ليعيشون على حاشية الحياة، وإن خيل إليهم أنهم بلغوا منافع ونالوا مطالب، واجتنبوا أداء الثمن الغالي، فالثمن القليل لا يشتري سوى التافـــه الرخيص!

﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ﴾. فهو الكـــذب المـــصاحب للضعف أبدًا، وما يكذب إلا الضعفاء، أجل ما يكذب إلا ضعيف، ولـــو بـــدا في صـــورة الأقوياء الجبارين في بعض الأحايين، فالقوي يواجه والضعيف يداور، ومـــا تتخلـــف هـــذه القاعدة في موقف من المواقف، ولا في يوم من الأيام[1].

إياك أن تزحلق هذه الآيات عن نفسك أو عن صحبك فإنَّ شخوصها الأُول قد ذهبوا، لكنَّ شواهدها الواقعية قد تكررت كلما جاء الجهاد ولا تزال إلى يوم القيامة.

والله عز وجل لا يترك الخديعة تمرُّ على أصحابها وعلى المؤمنين من غير بيان السبب الحقيقي الذي يعين من أراد إصلاح نفسه على إصلاحها وكشف خداعها، ويعين المؤمنين على تصفية صفوفهم، ذلك السبب هو ضعف الإيمان أو ذهابه، وهو حب الدنيا ودناءة الهمة.

يقول صاحب الظلال: **والقاعدون في الجماعة المكافحة– وهم قادرون على الحركة– الذين يقعد بهم إيثار السلامة عن الجهاد رجس ودنس، ما في ذلك شك ولا ريب، رجس خبيث يلوث الأرواح، ودنس قذر يؤذي المشاعر، كالجثة المنتنة في وسط الأحياء، تؤذي وتعدي**[2].

ويقول رحمه الله: وكثيرون هم الذين يشفقون من المتاعب، وينفرون من الجهد، ويؤثرون الراحة الرخيصة على الكدح الكريم، ويفضلون السلامة الذليلة على الخطر العزيز، وهم يتساقطون إعياءً خلف الصفوف الجادة الزاحفة العارفة بتكاليف الدعوات، ولكن هذه

---

(1) في ظلال القرآن ٢ /١٦٦١.

(2) في ظلال القرآن ٢ /١٦٩٥.

الصفوف تظل في طريقها المملوء بالعقبات والأشواك؛ لأنها تدرك بفطرتها أنَّ كفاح العقبات والأشواك فطرة في الإنسان، وأنه ألذ وأجمل من القعود والتخلف والراحة البليدة التي لا تليق بالرجال...

إنَّ الدعوات في حاجة إلى طبائع صلبة مستقيمة ثابتة مصممة تصمد في الكفـــاح الطويل الشاق، والصف الذي يتخلله الضعاف المسترخون لا يصمد؛ لأنهم يخذلونـــه في ساعة الشدة، فيشيعون فيه الخذلان والضعف والاضطراب. فالذين يضعفون ويتخلفـــون يجب نبذهم بعيدًا عن الصف؛ وقاية له من التخلخل والهزيمة. والتـــسامح مـــع الـــذين يتخلفون عن الصف في ساعة الشدة، ثم يعودون إليه في ساعة الرخاء، جناية على الصف كله، وعلى الدعوة التي يكافح في سبيلها كفاحه المرير.

وقال رحمه الله عند قولـــه تعـــالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾: ولكن دلالة الآية أعم من الحوادث الخاصة. فهي تقرر أصلاً من أصول التقدير في نظام الجماعة المكافحة في سبيل العقيدة، هو عدم التسامح في منح مظاهر التكريم لمن يؤثرون الراحة المسترخية على الكفاح الشاق، وعدم المجاملة في تقدير منـــازل الأفـــراد في الـــصف. ومقياس هذا التقدير هو **الصبر والثبات والقوة والإصرار والعزيمة الـــتي لا تـــسترخي ولا تلين**[1].

وإننا لنحسب من **خداع النفس العظيم** أن يجنب الإنسان نفسه شمول الآيات له، ويعيش من تحذيراتها في مأمن: يتخلف عن الجهاد ويعيش في مأمن! يعتذر عن مصاولة العدو ويعيش في مأمن! يترك الإنفاق وهو قادر ويعيش في مأمن! يعتذر بالأولاد والحريم ويعيش في مأمن! يتخوف من بطش العدو فيترك الجهاد ويدعو للتفاوض ويعيش في مأمن! يتوسع إلى آخر مدى في أقوال محتملة للعلماء وأعذار محتملة للقبول والرد... ويعيش من الآيات في مأمن! ويستمر على ذلك حتى يموت وهو في مأمن! وربما لعظيم انخداعه يحشره الله ويحاسبه ولا يزال سادرًا في غيه، مصرًا على خدعته كما قال سبحانه: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ

(1) في ظلال القرآن ٢ / ١٦٨٢ – ١٦٨٤.

كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ
أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي
الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ
إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ
حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (المجادلة: ١٨ – ٢٢).

ياكاتب المقال: إننا والله حين تأملنا مقالتك– نقول لك دون تورية– عجبنا لغلظ حجاب الخداع الذي تعيشه، ويعيشه معك من يعيشه، وقد آن لكم أن تكشفوه.

ويبقى المرء بعدها في ذهولٍ من غياب الحق عن هذه القلوب، وغبش الرؤيا عن هذه البصائر، رغم وضوح النور ووضوح الحق.

وإلا فهل يعقل أن ينكر مسلم على أهل الجهاد إصرارهم على الجهاد؟!

أيمكن أن يصبح مجاهد الأمس داعية اليوم للتفاوض المحرم بنفس درجة الحماسة الجهادية التي عاشها بالأمس؟

أيمكن أن يعترف هذا المفاوض أنَّ المفاوضات أصبحت بغير نتيجة ثم هو يصرُّ عليها؛ لأنها سنة كما صرح أمين مجلسكم؟!

أيعقل أن يقيس غير مخدوع صلح الحديبية بصلحه مع الأمريكان!

أيمكن أن يوصف من اختار طريق الجهاد والموت في سبيل الله على طريق مفاوضة الصليبيين وهدنتهم بأنه يحسد هؤلاء المفاوضين، كما قلت أيها الكاتب: (إن أحسنا الظن بكم نقول إنَّ إخواننا أصابهم الحسد). على أيِّ شيء نحسدكم! **حقًا إنكم في عالم آخر**...!

أيمكن أن يبلغ الخداع والتلبيس حتى يعتبر المفاوضُ أنَّ في كتابة المجاهدين عن المفاوضات مع الأمريكان بالإنكار إعانة للأمريكان وللمجوس على إخوانهم المفاوضين كما قلت: (لقد أنسى الشيطان هؤلاء أن ما يكتبوه هو ما أراده أعداؤنا والصفويون، نعم لقد

كفيتموه الرد **ووقفتم في جانبهم**، لقد اشتعلت الحكومة الصفوية غيظًا يوم تم الإعلان عن المفاوضات).

أيها الكاتب: لو أنك تفكرت جيدًا، متجردًا لله سبحانه، راغبًا فيما عنده، مؤثرًا الآخرة على الدنيا، مخرجًا الوهن من قلبك، لرأيت الأمر أصعب مما ذكرنا لك من شواهد، فما هذه الشواهد إلا مفردات في الحياة، وأرقام صغيرة في عالم الممارسات، **ولوجدتَ أن لغتكم الحقيقية تحولت إلى لغة خداع منـــزوعة الصفاء والوضوح**...

وأنَّ هذه اللغة أصبحت منهج المتحدثين فيما بينكم، كما هي منهج الكاتبين مثلما أريناك الشواهد من نفسك وخطك...

لقد بلغ الخداع بكم درجةً أنْ توصوا المصرِّين على ترك التفاوض والهدنة المصرِّين على الجهاد بتقوى الله... فتعنونوا مقالكم بذلك! وكأنَّ التقوى ما تفعلون.

وبلغ بكم الخداع أن تعتبروا البحث العلمي الناصح لكم طعنًا في أعراضكم! عياذًا بالله تعالى.

ولقد بلغ الخداع أن غُيِّر التصور والمعتقد، فقد أصبح البعض يعتقد أنَّ طريق المفاوضات والهدنة مع الصليبيين طريق مشروع، وأنَّ الإصرار على مواصلة القتال ضلال وتخريب، ويتمنى من خالص قلبه، وإن لم ينطق لسانه مخادعةً، أن تتبع جميع الفصائل طريقه في التفاوض، وتلقي أسلحتها، وتوغل في أروقة المفاوضات اتباعًا لسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحاشاه!

والخلاص اليوم أيسر من الخلاص في قادم الأيام...

وأخيرًا: يا من عنونت لنفسك بالشيخ، ورجاؤنا أن تكون كذلك، وكتبت هذه المقالة بوصفك رئيسًا للهيئة الشرعية في الجيش الإسلامي فإننا نذكرك بتبعات هذا **الوصف الثقيل** وما يشير إليه من حمل كبير...

فإنك- بهذا الوصف- إما أن تكون إمام هدى، وإما أن تكون إمام ضلالة... ولا نحسبك بعد هذه الحجج إلا أن تعرف أي الإمامتين حزتَ، نسأل الله لنا ولكم الهداية.

إنَّ في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وفي موضوع الجهاد خاصة من ورث الأحبار المضلين، وأدى دورهم بامتياز في هذا الزمان ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (النحل). فاخرج من هذا التشبيه قبل أن يلزمك وتكتب منهم.

انظر... ودقق النظر... فقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ (الأنعام: ١١٩ – ١٢١).

وتأمل كثيرًا في قوله سبحانه: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ (الأعراف: ١٧٥ – ١٧٧).

أيُّ إضلال أعظم من إضلالك يارئيس الهيئة الشرعية؟

تبرر لهم جلساهم مع الصليبيين، وقد علمت ثمارها الخبيثة؟!

وتسكت على ذلك ولا يسعك السكوت؟

تتصدى لمن ينكر عليهم من إخوانك المجاهدين؟

تخاطب عامة الناس بكتاباتك وكلماتك ومجالسك مغررًا بهم داعيًا إلى تبني التفاوض الذي أتى بالصحوات، ميسرًا الأمر إليهم، كاسرًا ما تستطيع من حواجز البراء بينهم؟

سننُ سوءٍ تجري في المعتقدات وفي الأعمال وعلى ساحة البلاد وما فيها من الناس... وكل ضال يتحمل وزره وعليك وحدك مثل أوزار الجميع، فلتجمع لنفسك بنفسك ما تجمع من أوزار، ويجتمع عندك أوزار الأتباع الذين أراك تفرح بكثرتهم، ويجتمع لك حصاد الأيام ما استمرت، وحصاد الناس ما انتشروا، فهل لك طاقة في ذلك؟!

أي وبالٍ هذا الذي جرك إليه هذا العلم؟

وأي مشيخة مجمعة للأوزار هذه؟

فرَّ بدينك ومعك غنيماتك في شعب من شعب الجبال تؤد وتقيم الصلاة خير لك من هذه الفتنة.

فرَّ بدينك من هذه الإمامة إلى أن تعود طويلب علم تَسأل ولا تُسأل، تُشير ولا يشار إليك، تختفي وسط الجموع ولا تتصدر، هذا إن عجزت عن التكفير عن إضلال السنين، فتكون إمام هدى ومقدم الكتيبة ورأس الحرس للعقيدة والجهاد، وناطق الحق البائع نفسه لله:

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ (الأحزاب).

أما أنتم أيها الأتباع: فإنَّ التابع عاضد، وإنَّ الله سبحانه أخذ فرعون وجنوده، وإنَّ النار تشهد اختصام الملأ والذين اتبعوهم، ولا خلاص إلا بإنكار هذا المنكر العظيم أو المفارقة قبل الموت على هذا الطريق.

ونحن حين نذكر هذا الواجب على الأتباع، فلا نخص به الآخرين، **إنما أول المخاطبين في كلامنا هم أتباعنا، فلا والله لا نحل أحدًا عرف علينا خطأً ولم يبينه لنا وينكره علينا، وهو واجب على كل أمير ومسؤول في أي جماعة أو فصيل أو حزب، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.**

والأتباع الذي يدجنون لدرجة تحديد مهمتهم في التبييض والتفقيس، **لا يثبتون في وجه القطط، فضلاً أن ينتصروا على الكلاب**، وحاشا المجاهدين أيًّا كانوا، ومن أيِّ مجموعة كانوا أن يكونوا كذلك، فليثبت ذلك أهل الميدان في ميدان جماعتهم قبل الميدان العام، فهذا حق الله، وحق الله أولى، وحرمات الله أحق من فلان وعلان، وإلا فإنه الفراق، والنبي عليه

الصلاة والسلام يقول: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه فتدعونه فلا يستجيب لكم)[1].

وإنَّ منكرًا بهذا الحجم والوضوح، وبهذه التبعات على الدين والبلاد وعلى الأرواح والأعراض والضرورات، لحري أن يقوم له كل غيور على الدين، طالب البراءة، راغب في النجاة من مصير الساكتين، فإنَّ عدم الإنكار إنما يعني التأييد والمؤازرة والجندية في طريق المفاوضات الصليبية.

عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام خطيبًا. فكان فيما قال: (لا يمنعنَّ أحدكم هيبة الناس، أن يقول بحق، إذا رآه، أو شهده، أو علمه)[2].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم)[3].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً)[4].

وعن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه أنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤن هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ

(1) أخرجه أحمد ٣٨٨/٥، والترمذي (٢١٦٩)، وقال: حسن. وحسنه الألباني وشعيب.

(2) أخرجه أحمد ٥/٣، والطيالسي (٢١٥١)، وعبد بن حميد (٨٦٩)، وابن ماجه (٤٠٠٧)، وابن حبان (٢٧٨). وصححه الألباني وشعيب.

(3) أخرجه البخاري (٧١٩٩)، ومسلم (٤٧٩٦)، ومالك (١٢٨٧)، وأحمد ٤٤١/٣، وابن ماجه (٢٨٦٦)، والنسائي ١٣٨/٧.

(4) أخرجه البخاري (٢٤٩٣)، وأحمد ٢٦٨/٤، والترمذي (٢١٧٣).

جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ وإني سمعت رسول الله يقول: (إن الناس إذا رأوا ظالماً فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه)[1].

وأوصى بعض السلف بنيه فقال: إن أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الأذى، ولقد كان الله تعالى يحفظ أكثرهم من بأس الظالمين ببركة إخلاصهم وحسن مقصدهم، وقوة توكلهم وابتغائهم بكلامهم وجه الله تعالى[2].

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

---

(1) أخرجه أحمد ١/٢، وأبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، والنسائي في "الكبرى" (١١٠٩٢). وصححه الألباني وشعيب.

(2) تنبيه الغافلين لابن النحاس ٤٣.